

يصنف النقد الاجتماعي ضمن دائرة المناهج السياقية، التي لا تهتم بالنواحي الفنية، ووسائل تشكيل العمل الأدبي، وإنما تهتم بما حول النص من مثيرات اجتماعية في إطار أحداث تاريخية، تضمن التركيز على المجتمع وأبرز فئاته وأنشطته وثقافته وأعرافه وتؤرخ لحركته، ومتغيراته . وإذا ما تناولنا النقد الاجتماعي بوصفه صادرا من منظومة علم الاجتماع فعندئذ ستتخذ من العمل الأدبي أو الظاهرة الأدبية وثيقة لدراسة المجتمع وأبرز ملامحه المميزة .

ومما تجدر الإشارة إليه ارتباط النقد الأدبي الاجتماعي بالنقد التاريخي الذي تعدده بعض الآراء فرعاً منه، لا بالسبق التاريخي من حيث الترتيب الزمني في الانشاء ولكن بالتعلق المعرفي، فقد خطا هيوليت تين خطوة تضمن بلورة اتجاه يقوم على النظر في الأدب، غير منفصل عن التاريخ، إذ حدد أهم العوامل في تشكيل الأدب وولها الأثر في حصافة نقده ، وهذه العوامل هي : البيئة، والزمن (أي العصر)، والجنس (العرق)، وهي خطوة حولت الاهتمام خارج ما ركز عليه سانت بييف في متابعته سير الأدباء الفنانين والأخذ بالأبعاد النفسية للأديب في دراسة الأدب .

وحمل عام 1800 حدثاً فاصلاً في تاريخ النقد، حين أصدرت مدام دوستايل كتابها (حول الأدب)، مكرسة اتجاهها نقدياً لا يفصل العمل الأدبي عن مجتمعه . وأكدت أنه لا يمكن أن ينتج الأدب ويتم تذوقه خارج أطر مجتمعه، لذا لا بد من الإحاطة بالظروف التي أسهمت في إنتاج العمل الأدبي وكانت مؤثرة في كتابه . ومن المرجح أن مدام "دى ستال" افادت كثيراً من آراء بعض معاصريها أمثال "هيردر الألماني" (1744-1803)، كما أفادت من آراء من سبقها أمثال "فيكو" الإيطالي (1668-1744) حول فكرة العلاقة بين الأدب والمجتمع، ليست تلك الآراء بعيدة عن رأي "ابن خلدون" (1332-1406)، مع أ "ابن خلدون" لم يقرن تغير أشكال الكتابة بالتغيير الاجتماعي، لكنه اكتشف نظرية التطور الحضاري التي قامت عليها فكرة "فيكو" كما ربط بين دور الأدب ومكانته ومراحل تطور المجتمع .

ركزت مدام "دى ستال" في نقدها على الرواية ورأت أن المجتمعات الأوروبية الشمالية تمثل بيئة مناسبة لمنح المرأة مكانة محترمة لذا ترجح على سبيل المثال " أن الإيطاليين لا يكتبون الروايات، لأنهم- بوجه عام- مسرفون في التحرر من الالتزام بالقواعد، ولا يكون للنساء احتراماً كبيراً، بخلاف السلوك في إنجلترا .

لكن الأهم نقدياً ما أنتجته مدام دى ستال من مصطلحات صاحبت بنظريتها في قراءة الأدب وأبرزها مصطلح (القراءة التعاقبية diachronique) وينطوي على مفهوم يحدد أن الأدب "يتغير بتغير المجتمعات وحسب تطور الحرية، فهي تتماشى مع العلم والفكر والقوى الاجتماعية وتطورها. والأدب دوماً نقد ودعوة إلى شيء ما أن معاً. ولقد أكره أدب البلاط على الهجاء والمرارة، لأن أفق التاريخ كان موصداً أما بعد ثورة 1789 .. أصبح أدب الإخاء ممكناً وضرورياً " وهذا يعني أنها خلفت في قراءتها التعاقبية للأدب المفهوم السابق للتعامل مع الأدب من منطلق كهنتوتى .

ويعود لها الفضل في انطلاق ثورة نقدية في دراسة الأدب ولاسيما في كتابها "حول الأدب De Le Litterature "يعاضدها شاتوبريان في "عبقريّة المسيحية" افضلا عن مقالات "بونالد" في جريدة "عطارد فرنسا (1806) Le Mercure de France " التي كرست مبدأ "بونالد" القائل : إن "الأدب تعبير عن المجتمع " واقترن مصطلح القراءة التعاقبية بمصطلح القراءة المكانية، الذي أعقبه، وأشارت فيه إلى تأثير طبيعة المكان وما يتمتع به الإنسان من حرية في تطور الأدب فما حققه "أدب الشمال" من تطور ايجابي ناتج عن تمتع الأدباء والمبدعين بالحرية لذا ارتفع مستوى ما يكتب في فرنسا بلد الحرية عما يكتب في ألمانيا أو انكلترا الملكية المحافظة؛ لأن الإبداع يختلف باختلاف المكان وإذا ما التحول من المذهب الكلاسيكي الى الرومانسية قد حصل في أوروبا نتيجة للمتغيرات الثقافية المقترنة بالمتغيرات الاجتماعية والاقتصادية وما تبعها من متغيرات سياسية، فإن مارصده النقد الاجتماعي في ذلك التحول لا يبلغ من السعة والتوافق مع ما رصده هذا النقد وكرسة في الأدب الواقعي، سواء في اتجاهاته الرئيسة في أوروبا الغربية من طبيعية وواقعية نقدية، أم في أوروبا الشرقية وبخاصة في روسيا، حيث أثمر الاتصال بالفكر الماركسي، وارهاسات الثورة الثقافية التي تبعها الثورة البلشفية عام 1917م، في نمو هذا النقد .

وأول علامات الاستجابة للفكر الماركسي في روسيا ما قدمه ناقد روسيا الأبرز في القرن التاسع عشر بيلنسكي (1810-1848) وتلامذته من رؤية لا تفصل النتاج الأدبي عن المجتمع، داعين الى أن يكون الأدب انعكاساً للمجتمع ناقلاً الواقع بأمانة من دون تغيير أو تجميل، عادين

الدب الحقيقى (ما كان تعبيرا عن الروح القومية وعن الحركة الديالكىكىة (الجدلىة) للافكار السىاسىة) . وتتلخص الرؤىة الماركسىة للأدب فى أنه جزء رئىس من (البنىة الفوقىة) للمجىمع ، التى تضم الثقافه والایدیولوجیا، فى حین یكون الاقوىصاد والمنجزات المادیة (البنىة التحتىة)، فأى تغیر فى قوى الانتاج ضمن البنىة التحتىة ینعكس على البنىة الفوقىة ویمكن ان تؤثر البنىة الفوقىة فى النشاط ضمن البنىة التحتىة أو تمثله أیدیولوجیا .

وقد تطور النقد الاجتماعى باتجاهه الماركسى على ید أكثر من ناقد وأبرزهم الناقد جورج لوكاش (1885-1971)، الذى حلل العلاقة بین الأدب والمجىمع، وعدّ الأدب انعكاسا للحیة، وقدم دراسات تثبت علاقة الأجناس الأدبیة وتطورها بالمجىمع ومتغیراته ، فیمما سمى بـ(سوسیولوجیا الأجناس الأدبیة) . ولم یهمل حركة المجىمع فى التاریخ الذى یرصده الأدب ولاسیما فى الروایة، ویبرز هذا الاهتمام فى كتابة (الروایة التاریخیة)، إذ يؤثر الزمن والاطار التاریخى على المؤلف ووسائل تعبیره، والعوالم التى یعكسها فى ذلك الأدب شخوصا واماكن وعصر.

وقد أكمل اتجاه لوكاش وطوره ناقد حقق منجزا مفصلیا فى تاریخ النقد الاجتماعى غیر منفصل عن تطور النقد فى میدان مجاور أنجز المنهج البنیوى، فقد طور ما نجزه لوكاش فأسس اتجاهها أطلق علیه (علم اجتماع الابداع الأدبى) . ولكن الانجاز الأكبر یتجلى فى تکرسه اتجاهها یحقق التصالح بین النقد الاجتماعى أو علم اجتماع الأدب والبنیویة فیمما أطلق علیه (البنیویة التکوینیة) أو (البنیویة التولییدیة)